جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

مقياس تاريخ المشرق الإسلامي ق2-8هـ/8-14م

د. بلال ساحلي

البريد الالكتروني: b.sahli@univ-dbkm.dz

المحاضرة الثامنة السداسي الثاني:

1- المغول والمماليك:

زحف المغول قادمين من هضبة منغوليا في أقصى الشرق ودمروا في طريقهم الدولة الخوارزمية ثم وصلوا بغداد واقتحموها سنة 656هـ/1258م فقتلوا الخليفة المستعصم بالله واستباحوا المدينة سبعة أيام، وراح ضحيتهم خلق كثير من الأشراف ورجال الدولة والعلماء، وبذلك انهارت العاصمة الروحية للعالم الإسلامي، وتحولت الأنظار نحو الغرب اتجاه الشام والقاهرة عاصمة المماليك التي انتقلت إليها صفة المركزية.

في سنة 657هـ/1259م توجه هولاكو غرباً لغزو الشام، التي كان يحكمها الملك الناصر يوسف الأيوبي صاحب حلب فلم يجد من طريقة لصد المغول إلا الاستنجاد بسيف الدين قطز المملوكي صاحب مصر، رغم سوء العلاقات بينهما، فلم يبخل عليه بإرسال النجدات، لكن حلب لم تصمد وسقطت في يد المغول سنة 658هـ/1260م ثم تبعتها ميافريقين ودمشق وأنطاكية، ثم أرسل هولاكو برسالة إلى مصر يهدد فيها سيف الدين قطز ويتوعده إن هو لم يستسلم ويخضع للمغول .

في ظل هذه الظروف توحد المماليك البرجية والبحرية ورحَّب قطز بكبار أمراء المماليك البحرية وعلى رأسهم بيبرس، وقرروا إعلان الجهاد ضد المغول فحشد الجيوش وجمع المال، وخرج قطز من مصر على رأس جيش سنة658هـ /1260م وجعل في مقدمة جيشه بيبرس الذي اصطدم بطلائع المغول في غزة فألحق بهم هزيمة هي الأولى في تاريخ المغول، ثم ألحق بهم هزيمة ثانية في بعلبك، وفي ظل تلك الانتصارات صادف ذلك موت الخان الأعظم للمغول

"منجوقان" فاضطر قائدهم هولاكو الانسحاب والعودة لاستلام امبراطوية أخيه، وترك خلفه جيشاً قوامه ثلاثون ألف مقاتل في بلاد الشام .

2- موقعة عين جالوت 25 رمضان 658هـ/1260م:

لم يكن أمام سيف الدين قطز الخيار سوى جهاد التتار، لأن الاستسلام يعني الذل والهوان، كما أن مصر هي آخر معقل للمسلمين، فتوجه بجيشه نحو عين جالوت حيث كان معسكر المغول، وقد بلغت التعبئة الروحية ذروتها في نفوس المسلمين الذين كانوا على قلب رجل واحد، فالتقى الجيشان في صبيحة يوم الجمعة 25رمضان 658هـ/ 03 أفريل1260م.

كان بيبرس يقود فرقة من الكشافة تناوش التتار حتى يصل السلطان قطز، فكان بيبرس يلتقي بطلائع التتار ثم ينسحب أمامهم حتى يستدرجهم، إلى أن أوقعهم في الفخ بعد أن أحاط بهم الجيش الذي يقوده السلطان قطز، واستمر القتال من الفجر إلى غاية منتصف النهار، وحلت الهزيمة بالمغول فقتل معظمهم وأسر الآخرون، ومن أهم نتائج معركة عين جالوت:

- ترسيخ دعائم دولة المماليك في مصر والشام، ونهاية بقايا الأيوبيين في الشام .
- إنقاذ الحضارة الإسلامية من همجية التتار، وإيقاف زحفهم نحو الشام ومصر .
- ساهمت موقعة عين جالوت في تصفية بقايا الامارات الصليبية في الشام .
- ضم بلاد الشام لحكم المماليك بعد أن دخل قطز إلى مدينة دمشق بعد عين جالوت .
- احتواء بقايا التتار والتمهيد لدخولهم إلى الإسلام .

كانت نهاية الملك المظفر سيف الدين قطز مؤسفة حيث تعرض للاغتيال أثناء خروجه من دمشق وتوجهه نحو مصر، أثناء رحلة صيد، فتولى السلطة الظاهر بيبرس وأصبح السلطان الجديد على مصر والشام، ولعل سبب ذلك الاغتيال هو العداء القديم بين بين المماليك المعزية والبحرية الصالحية .

قام السلطان الجديد بيبرس بإعادة بعث الخلافة العباسية في مصر فاستدعى من العراق أبو القاسم أحمد العباسي 659هـ/1261م وتمت له المبايعة بالخلافة ولقب بالمستنصر بالله، وأمر أن يدعى له على المنابر ثم يدعى للسلطان من بعده وأن تُضرب الدنانير باسمه، وكان المكسب لبيبرس من ذلك أنه منح لدولة المماليك الشرعية الدينية التي تعزز مكانتها في العالم الإسلامي، وأما الخلافة العباسية فقد ظل تواجدها في مصر صوريا وشكليا إلى غاية الدخول العثماني سنة923هـ/ 1517م .